بين يدي السورة :

سورة مكِّيَّة بالاتفاق اشتملت على أن الدعوة إلى دين الله تكون للناس كافة لا فرق بين سادة وعبيد أو غني وفقير وأن الهداية ليست بيد بشر إنما بيد الله تعالى وحده ، ثم تحدثت عن جحود الإنسان وكفره بأنعم بربه التي لا تحصى وذكرت العناصر الكونية والبشرية التي سخَّرها الله تعالى لإخراج طعام الإنسان والأنعام والمراحل التي يمر بها ، ثم ختمت السورة ببيان أهوال القيامة، وحال كلٍّ من المؤمنين والكافرين يوم الدين .

سبب النزول :

عن السيدة عائشة أنها قالت : " اسْتَأْذَنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [صححه الحافظ العراقي]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ
أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾
كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ
مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾
مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ

﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ
﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا
ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا
﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا
جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾
تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

اللغويات :

﴿عَبَسَ﴾ ضمَّ حاجبَيْه ، وتجهَّمَ ﴿تَوَلَّى﴾ عنه : أَعْرَضَ وتَرَكَهُ ﴿يَزَّكَّى﴾ اهْتَدَى وصلَحَ وتطَهَّر ﴿اسْتَغْنَى﴾ أَعْرَض، كَانَ في غِنًى عَنْ غيْرِه ﴿تَصَدَّى﴾ لفُلانٍ : أَقْبَلَ عَلَيْه بوجهِه مُصْغيًا لكلامه ﴿يَخْشَى﴾ خَشِيَ فلانًا ، ومنه : خافَهُ ﴿تَلَهَّى﴾ الشَّخْصُ عنه : أَعْرَضَ عَنْه ولَمْ يَهْتَمَّ به ، تَشَاغَلَ عنه ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ ما يدعو إلى الذِّكْر والعِبْرَة ﴿سَفَرَةٍ﴾ جمع سَافِرٌ وهو الكَاتب ، وأَحَدُ الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ يَحْصُونَ الأَعْمَالَ وَيُدَوِّنُونَهَا ﴿بَرَرَةٍ﴾ جمع بارٌّ وهو فَاعِل البرِّ والإحسان ﴿أَكْفَرَهُ﴾ كَفَر بالنِّعْمَة : أَنْكَرَهَا وجَحَدها ولَمْ يَشْكُرْها ﴿نُطْفَةٍ﴾ المَنِيُّ ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ جَعَلَهُ قَادِراً عَلَى ﴿يَسَّرَهُ﴾ يسَر الأمرُ : سهُل ﴿أَنْشَرَهُ﴾ أَنْشَرَ اللهُ المَوْتَى أَحْيَاهُم وبَعَثَهُم بعد الموت ﴿يَقْضِ﴾ قَضَى الشيء : قدَّرَهُ وصنَعَهُ ، قَضَّى أَمْراً: أَنْفَذَهُ ، قَضَاهُ ، أَمْضَاهُ ﴿قَضْبًا﴾ القَضْبُ: كلُّ شَجَرةٍ طَالَت وبَسَطَتْ أَغْصَانها، والشجرُ الرَّطب يُقْطَع مَرَّةً بعد أخرى ﴿غُلْبًا﴾ غَلَبَ الحديقةُ : تَكَاثَفَت أَشجارُها والتفَّتْ ﴿أَبًّا﴾ كَلأ وعُشْبًا ، والتِّبْن خاصّة ﴿مَتَاعًا﴾ كلُّ ما يُنْتَفع به من الحوائج كالطَّعَام والأثَاث والسِّلعة ونحوها ﴿لأَنْعَامِكُمْ﴾ الأنعام : الإبِلُ ﴿الصَّاخَّةُ﴾ : الصَّيحَةُ تُصِمُّ الأُذُنَ لِشِدَّتها ،

والصَّيْحةُ التي تكون يوم القيامة ، النَّفخة الثَّانية ﴿شَأْنٌ﴾ الشَّأْن : الخَطْبُ ، والحَالُ ﴿يُغْنِيهِ﴾ أَغْنَاه الأمرُ : شَغَلَه، وصَرَفَه عَنْ غَيْرِه ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ مُشْرِقة مُضِيئَة ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ اسْتَبْشَرَ الشَّخصُ : فَرِح وسُرَّ ﴿غَبَرَةٌ﴾ الغُبَارُ ﴿تَرْهَقُهَا﴾ رَهِقَ الشيءُ فُلاناً :غَشِيَهُ ولَحِقَه ﴿قَتَرَةٌ﴾ شِبْهُ دُخَانٍ يَغْشى الوجْهَ من كرْب أَو هَوْل ﴿الْفَجَرَةُ﴾ جمع فَاجِر : الفَاجِرُ :الفَاسِق غيرُ المُكْتَرث بالمعاصي والآثام .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ تَجَهَّم النبي ﷺ وأعرض عن عبد الله بن أم مكتوم عندما جاء يسأله وهو مشغول بدعوة أحد أشراف قريش راجياً إسلامه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ ومن أعلمك يا محمد من الذي سيهتدي ومن سيضل حتى تترك الأعمى وتقبل على هذا الرجل فربما ينتفع هذا الأعمى ويتطهر من الذنوب والآثام بدعوتك أو يتعظ بما تعلمه، فتنفعه الموعظة ولا ينفع بها من تركته بسببه ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى﴾ أمَّا من استغنى بنعم الله تعالى عن المنعم واستغنى بالدنيا عن الآخرة فأنت تقبل عليه ، وتهتم بتبليغه دعوتك ، وليست مهتك تطهير الناس من الذنوب وجعلهم مهتدين إنما مهتك دعوتهم للتوبة والهداية فحسبك ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٧٢] ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى* وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ والأعمى الذي جاءك مجتهداً في طلب العلم والهداية ، وهو يخاف الله فأنت عنه تتشاغل؟! ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ليس الأمر كما ظننت أن دعوة السادة الأغنياء المُعْرِضين عن الحق وقراءة القرآن الكريم عليهم مُقَدَّمة على دعوة الفقراء المجتهدين في طلبه فإن القرآن الكريم تذكير لكلِّ الناس بالله تعالى ودينه فمن رغب في التذكرة فقيراً كان أم غنياً انتفع بالقرآن الكريم ، ذلك القرآن المكتوب في صحف مشرفة عند الله تعالى مثبتة في اللوح المحفوظ ، رفيعة القدر عند الله ، مُنَزَّهة ، لا يمسها إلا المطهرون ، محمولة بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله ، وهم كرام على ربهم أخيار محسنين ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ هلاكاً للإنسان المُكذِّب بالله ورسوله ما أشد كفره بأنعم الله تعالى !! ألا يتذكر هذا الشقي كيف خلقه الله ومن أي شيء خلق ،

لقد خلقه الله تعالى من ماء مهين ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠] فجعله قادراً على القيام والسعي ثم أرسل له الرسل بالهدى ودين الحق ويسَّر له طريق الخير والإيمان ، ومهما عاش فلا يغتر بطول الأمل فإنه حتْمًا سيموت ويقبر ثم يبعثه الله تعالى متى شاء للحساب ، فليس الأمر كما يظن هذا الشقي أنه خُلِقَ عَبَثاً وَتُرِكَ سُدًى فاتبع هواه ولم يوفِّ بحق مولاه فلم يؤمن به ولم يعبده بل كفر وعصى أو قصَّر وفرَّط ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ فليتأمل الإنسان إلى طعامه ، كيف دبَّرناه ويسَّرناه ! إنَّا أنزلنا المطر من السماء إنزالاً ثم شققنا الأرض بالنبات شقاً فأنبتنا فيها حباً يأكله الناس وعنباً ونباتاً يؤكل رطباً وزيتوناً طيباً ، ونخلاً مثمراً وحدائق ملتفة الأغصان وثماراً يتفكه بها ، وعشباً تأكله البهائم أنبتنا ذلك متاعاً لكم ولأنعامكم ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ فإذا جاءت صيحة القيامة التي تَصُمُ الآذان يوم يهرب المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجته وبنيه لكل امرئ من هؤلاء في هذا اليوم شأن يشغله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ وجوه في هذا اليوم مضيئة مشرقة مسرورة بنعيم الله ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ووجوه في هذا اليوم عليها غبار وتغشاها ظلمة وسواد أولئك أصحاب هذه الوجوه الكفرة الفجرة .

فوائد وعظات :

* مطلع هذه السورة تأكيد على صدق النبي ﷺ في التبليغ عن ربه سبحانه قال بعض السلف :لو كَتَمَ محمد ﷺ شيئاً مما أوحي إليه لكتم هذه الآيات .

* كيف يُحَقِّر الله من شأن عبد الله بن أم مكتوم بتسميته الأعمى وهو الذي جاء يسعى لتعلم الدين ؟

إن ذكر عبد الله بن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليس تحقيراً لشأنه ، بل لتبرئته من سؤال النبي وهو يراه مشغولاً بالحديث مع رجل من أشراف قريش لأنه سأله دون أن يدري من عند النبي ، ولتبرئة الرسول من إيذائه فالنبي عبس وتولى وهما فعلان لا يدركهما الأعمى ، إنما الذي أدركه عدم إجابة سؤاله فقط .

* إن كان الأمر جاء لتبرئة الرسول من إيذاء ابن أم مكتوم فلم كان عتاب الله لرسوله ؟

إن سبب العتاب هو ترك النبي ﷺ الأفضل فإن ابن أم مكتوم بسبب عماه كان يستحق مزيد الرفق والرأفة لا العبوس والتولي ، وعتابُ اللهِ النبيَّ تأديبٌ وتعليمٌ وهذا شرفٌ وتكريمٌ لا إهانةٌ وتجريمٌ ، والنبي فخر بأن الله أدَّبه فأحسن تأديبه .

* قال سفيان الثوري : كان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم قال : مرحباً بما عاتبني فيه ربي عز وجل ، وبسط له رداءه ، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين .

* ﴿وَهُوَ يخشى﴾ فيه ثلاثة أوجه :

الأول : يخشى الله ويخافه . الثاني : يخشى الكفار وأذاهم . الثالث : يخشى مخاطر الطريق لأنه أعمى ولا قائد له .

* ﴿قُتِلَ الإنسان﴾ تنبيه على أنهم استحقُّوا أعظم أنواع العقاب ، وقوله : ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تنبيه على أنواع القبائح والمنكرات .

* ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ اختلف المفسرون حول معنى هذه الكلمة إلى أقوال ثلاثة هي :

الأول : قَدَّره أطواراً نطفة ثم علقة إلى آخر خلقه، وذكراً أو أنثى، وسعيداً أو شقيّاً.

الثاني : قَدَّره على الاستواء كما قال تعالى :﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا﴾ [الكهف:٣٧]

الثالث : قَدَّر كلَّ عضو في الكمية والكيفية بالقدر اللائق بمصلحته ، ونظيره قوله تعالى : ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]

والأقوال الثلاثة كلها صحيحة ولا تعارض بينها ويمكن أن يضاف إليها أقوالاً أخرى مثل : قدَّره أي أقدره على ما كلَّفه به من عبادة الله وتعمير الكون ، وقدَّره أي أكرمه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ [الإسراء:٧٠]

* ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

جاء الترتيب تصاعديّاً حسب الرابطة العاطفية والتعلق القلبي ؛ فيوم الفزع الأكبر والصاخة التي تُصمُّ الأُذُنَ لشدَّتها فإن الإنسان لا يفكِّر إلا في نفسه وحالها ومآلها أولاً ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يُغْنِيه أي يصرفه ويصده عن قرابته ،

وبعد نفسه آخر من يتخلَّى عنهم ويفر منهم أولاده فلْذَات أكباده ، ثم مَنْ هَامَ بها عشقاً من النساء في الدنيا ، ثم أبويه سبب وجوده في الحياة ومن ربياه صغيراً وضحُّوا من أجله كثيراً ، ثم أخيه رفيق الطفولة والصبا وعضده عند الشدة ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص:٣٥]

* ﴿كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ كلا، أي هذا ردع وزجر للإنسان عما هو عليه، فلم يخلُ إنسان من تقصير قط ، إما بالكفر، وإما بالعصيان ، وإما بارتكاب خلاف الأولى والأفضل لما يليق بمنزلته ، ولم يفعل بما أمره اللّه إلا القليل ، وهذا تعجب من حال الإنسان .

من لطائف النظم القرآني :

* الالتفات من ضمير الغيبة في ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ إلى ضمير الخطاب في ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ تنبيهاً للنبي ﷺ للعناية بشأن الأعمى .

* ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ استعارة تصريحية حيث شبه حياة الإنسان بالسبيل وحذف المشبه وصرَّح بالمشبه به .

* ﴿قُتِلَ ٱلإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ أسلوب تعجب من حال الإنسان العاصي الذي كفر بأنعم الله بدلاً من شكرها .

* الطباق بين ﴿تَصَدَّى﴾ و ﴿تَلَهَّى﴾ لبيان ما استحقَّ النبي ﷺ عليه العتاب .

* ﴿مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾ استفهام على معنى التقرير على تفاهة الشيء الذي خلق اللّه الإنسان منه .

* المقابلة بين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ و ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ لبيان الفرق العظيم بين حال المؤمنين وحال الكفار يوم القيامة .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿تَوَلَّى .. الأعْمَى .. يَزَّكَّى .. الذِّكْرَى .. اسْتَغْنَى .. تَصَدَّى .. يَزَّكَّى .. يَسْعَى .. يَخْشَى .. تَلَهَّى﴾ و ﴿تَذْكِرَةٌ .. ذَكَرَهُ .. مُطَهَّرَةٍ .. سَفَرَةٍ .. بَرَرَةٍ .. أَكْفَرَهُ﴾ و ﴿فَقَدَّرَهُ .. يَسَّرَهُ .. فَأَقْبَرَهُ .. أَنْشَرَهُ .. أَمَرَهُ﴾ و ﴿حَبًّا .. قَضْبًا﴾ و ﴿غُلْبًا .. أَبًّا﴾ و ﴿أَخِيهِ .. أَبِيهِ .. بَنِيهِ .. يُغْنِيهِ﴾ و ﴿مُسْفِرَةٌ .. مُسْتَبْشِرَةٌ .. غَبَرَةٌ .. قَتَرَةٌ .. الْفَجَرَةُ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

هذه السورة مَكِّيَّة بالاتفاق وتشتمل على ذكر كتابي الله تعالى : كتاب الله المنظور وهو الكون ، وكتاب الله المقروء وهو القرآن الكريم ، يتحدث الله عن نهايات كتابه المنظور يوم يطويه كطي السجل للكتب ، وعن بدايات كتابه المقروء يوم كان ينزل به أعظم ملائكته على آخر أنبيائه كآخر رسالات السماء قبل فناء الكون وقيام القيامة .

فضل السورة :

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : " من سرَّهُ أن ينظرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّهُ رأيُ عينٍ فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [صححه الألباني]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ

obeikandl.com

أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

اللغويات :

﴿كُوِّرَتْ﴾ كَوَّرَ الشيءَ : لفَّه على جهة الاستدارة ، والشَّمسُ : جُمِع ضوءُها ولُفَّ كما تُلَفُّ العمامة ، أَو اضمحلَّت وذهبت ﴿انْكَدَرَتْ﴾ النجومُ : تناثرت ، وأظْلَمتْ وذهب نُورُها ﴿الْعِشَارُ﴾ جمع عَشراء وهي الناقة الحامل ، وكل ذات حَمْل ﴿عُطِّلَتْ﴾ عَطَلَ الرجلُ : بَقِيَ بلا عَمَلٍ وهو قادرٌ عليه ، وعَطلَت الإبلُ: خلَتْ من راعٍ يَرْعاها ﴿الْوُحُوشُ﴾ جمع وَحْشٌ وهو مالا يَسْتأْنس من دوابِّ البَرِّ ﴿حُشِرَتْ﴾ حَشَرَ النَّاسَ :جَمَعَهم وحَشَدَهم ، الحَشْر : اجتماع الخَلْق يوم القيامة ﴿سُجِّرَتْ﴾ سجَّرَ الماءَ : فجَّرَه ، والنَّارَ : أوْقَدَها ، أَحْمَاهَا ، وسَجَرَ الإناءَ ونحوه : ملأَهُ ﴿الْمَوْءُودَةُ﴾ وَأَدَ الرجلُ ابنته : دفنها حيَّة ﴿نُشِرَتْ﴾ نَشَرَ الشيءَ نَشْرًا : فرَّقه، والكتابَ أَو الثَّوبَ أَو نحوَهما : بسَطه ، الخبرَ أَو المقالَ : أَذاعه ﴿كُشِطَتْ﴾ كَشَطَهُ عنه : أَزاله عنه ، يقال : كَشَطتُ جِلْدَ الشَّاةِ أي نَزَعْتُهُ وسَلَخْتُه عنها ﴿سُعِّرَتْ﴾ سَعَّرَ النَّارَ : أَشْعَلَهَا ﴿أُزْلِفَتْ﴾ زلَفَ الشيءَ : قَرَّبَهُ وقدَّمَهُ ﴿أَحْضَرَتْ﴾ أحْضرَ الشَّيءَ أو الشَّخصَ : أتى به ﴿بِالْخُنَّسِ﴾ : الكواكب السَّيَّارة ؛ لأنّها تستتر وترجع ﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية من الجري : السير السريع ﴿الْكُنَّسِ﴾ جمع كانس وهو القائم بالكِنْس أو المُخْتَفِي ، وكَنْسُ التُّرَاب أي إزالته عن وجه الأرض ﴿عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه ﴿مَكِينٍ﴾ ذو مكانة رفيعة وشرف ﴿ثَمَّ﴾ اسْمُ إشارَةٍ بِمَعْنَى هُناكَ ﴿بِالأُفُقِ﴾ خطٌّ دائريّ يَرى فيه المشَاهدُ السَّماءَ كأَنَّها مُلْتَقِية بالأَرض ﴿بِضَنِينٍ﴾ الضَّنِينُ : الشديدُ البخل ، أَو البخيلُ بالشيءِ النَّفيس ، أو الحريص عليه ﴿رَجِيمٍ﴾ مطرود من الرّحمة أو مرجوم بالشّهب .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ

عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ الله تعالى يبدأ السورة بذكر مشاهد من علامات الساعة الكبرى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨] الكون المنسق الجميل ، الموزون الحركة، المضبوط النسبة، المتين الصنعة ، المبني بأيد وإحكام . إن هذا الكون سينفرط عقد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها ؛ وينتهي إلى أجله المقدر ، حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ما عهدت نهائياً في هذا الكون المعهود . (١)

ذكر الله تعالى اثني عشر حَدَثاً مَهُولاً سيقع قبل معرفة النفس عملها ومصيرها﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ فالشمس تدور سريعاً وتنكمش على نفسها ويذهب ضوءها ، والنجوم يحدث لها مثل ما يحدث للشمس ، والجبال تُقْتَلع من الأرض وتَتْرُك مواضعها وتصبح كالسحاب ، وتعقم الصالحات للإنجاب عن الحمل والولادة أما ذوات الحمل فتنزل حملها سَقْطاً ، والمرضعات ينشغل عن فلذات أكبادهن من هَوْل ما يحدث ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:٢] وتخرج جميع الوحوش من أوكارها وجحورها ذاهلة من شدة الفزع وقد انشغلت عن خوفها من الافتراس والقنص بالفزع والهول ، أما البحار فتُضْرم ناراً ، والنفوس تعود إليها أرواحها وتقسَّم بحسب أعمالها إلى : أَصْحَاب الْمَيْمَنَة ، وَأَصْحَاب الْمَشْأَمَة وَالسَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ ، وتُسْأَل مَنْ دُفِنَتْ حَيَّة ، ترضية لها وتبكيتاً وتقريعاً لمن وأدها ، بأي جريمة قتلت ؟! إنه حكم الجاهلية الجائر ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:٥٨، ٥٩] وبعد ذلك تُبْسَط كتب أعمال الإنسان ليطَّلع عليها تمهيداً للحساب ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء:١٣] وينهار نظام السماء ويتهدم بنيانها ، وتتأهب الجحيم لاستقبال أصحابها بإشعال نارها ، وتتأهب الجنة لاستقبال أصحابها فتدنو منهم وتقترب

(١) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ٧ ص ٤٦٨

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ إذا حدثت تلك الظواهر الاثنتا عشرة علمت كل نفس ما قدَّمته من خير أو شر ما أحضرت من استحقاق الجنة أو استحقاق النار ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠] ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ نفى الله تعالى أن يكون القرآنُ الكريم أساطيرَ الأولين ، كما زعم الكفار ، وأقسم بالنجوم السيَّارة التي هَرِمَت وانكمشت واختفى ضوءها وتحوَّلت إلى ثقوب سوداء تَكْنُس كلَّ شيء في طريقها وتبتلعه ، وأقسم بالليل الذي يُقْبِل بظلامه بعد غروب الشمس ويُدْبِر بطلوع الصبح ، وبالصبح الذي يضخُّ الهواء النقي المُحمَّل بالأكسجين وينقي الجو من الغبار وثاني أكسيد الكربون ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أقسم الله تعالى بالنجوم والليل والصبح على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي أَرْسَل به الأمين جبريل المطاع في الملأ الأعلى ، صاحب القوة في أداء مهمته، صاحب المكانة والمنزلة عند الله ذي العرش ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ وما رسولكم ، الذي صاحبتموه وعرفتم رجاحة عقله ، بمجنون إنما هو صادق أمين ، والرائد لا يكذب أهله ، ولقد رأى محمد ﷺ جبريل بالأفق المُظْهِر لِمَا يُرَى فيه ، وما محمد ﷺ على الوحي ببخيل يقصر في تبليغه وتعليمه ، وما الوحي المُنزَّل عليه بقول شيطان مطرود من رحمة الله ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ فأي طريق أهدى من هذا الطريق تسلكون؟! ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ما القرآن الكريم إلا تذكير وموعظة للعالمين لمن أراد منكم الاستقامة وتحرَّى الحق والصواب وما تشاءون شيئاً إلا أن يشاء الله رب العالمين ذلك .

فوائد وعظات :

* ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ اختلف المفسرون في تفسير الآية إلى أقوال هي :

الأول : قرنت الأرواح بالأجساد .

الثاني : يصيرون فيها ثلاثة أزواج كما قال تعالى : ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة:٧-١٠]

الثالث : أن يضم كل واحد إلى طبقته في الخير أو الشر .

الرابع : يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصَّفات:٢٢]

الخامس :زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين.

السادس : قرن كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني .

السابع : قرنت النفوس بأعمالها .

وكل هذه الأقوال مقبولة ويكمل بعضها بعضاً ولا تعارض بينها .

* ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ بعض الناس احتجَّ بهذه الآية على أن الإنسان مُسَيَّر ولا قدرة له على الاختيار فالله تعالى ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران:١٢٩] والله تعالى ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨]

والحقيقة أن الإنسان مُخَيَّر فيما كلَّفه الله تعالى به وما سيحاسبه عليه .

فالإنسان مُخَيَّر في الإيمان بالله أو الشرك به ، ومُخَيَّر في بر الوالدين أو عقوقهما ، ومُخَيَّر في قتل النفس بالحق وبغير الحق ، ومُخَيَّر في فعل الفواحش واجتنابها ... وعلى الجملة إن الإنسان مُخَيَّر في فعل أو ترك كلِّ ما أمر الله تعالى أو نهي عنه . وهذه الأوامر والنواهي هي مناط التكليف وعليها الجزاء والحساب .

أما ما لا اختيار للإنسان فيه فلا يحاسب عليه فلا حساب على الميلاد والموت ، ولا الجنس والنوع ، ولا الشكل واللون ...

ومن عدل الله تعالى أنه لا يسوي بين من آمنوا وعملوا الصالحات وبين من كفروا واجترحوا السيئات ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨] ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥ ، ٣٦]

فالله تعالى يحكم بين الناس بالقسط ولا يظلم الله تعالى أحداً ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]

وكَوْن الله تعالى يعلم ما كان ، وما سيكون ، وما هو كائن فهذا لأنه الإله الواحد الأحد ﴿عَالِمِ الغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٣] وعلم الله تعالى بمصائر الناس لا يعني جبر أحد على فعل ما لم يُرِد فعله ، وهذا العلم غيب استأثر به الله تعالى وحده ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ﴾[{آل عمران:١٧٩] ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ:٢٦] ومن زعم أن الله تعالى كتب عليه الهدى أو الضلال ولا إرادة له في هذا أو ذاك كذَّاب أشر ﴿أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٧٨] حتى الأنبياء لا يعلمون الغيب ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨] والله لا يُطْلِع الإنسان على عمله إلا يوم القيامة حيث يرى ما فعل بمحض إرادته قد سجَّله الله ليحاسبه عليه فالله لا يحاسبنا بمقتضى علمه بحالنا إنما يحاسبنا بمقتضى أفعالنا الحرَّة ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]

من الإعجاز العلمي في السورة

* ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال الفخر الرازي في التكوير وجهان :

أحدهما: التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة ، ثم إن الشيء الذي يلف لا شك أن يصير مختفياً عن الأعين ، فعبَّر عن إزالة النور عن جرم الشمس وتصييرها غائبة عن الأعين بالتكوير .

الوجه الثاني : في التكوير يقال : كورت الحائط إذا طرحته حتى يسقط .

والعلم الحديث اكتشف أن النجم يتكون من سحابة من غاز الهيدروجين ، والقليل من الهليوم ، وبدوران النجم حول نفسه بسرعة كبيرة يسخن الغاز في النواة حتى يصبح حاراً جداً إلى درجة أن تندمج ذرات الهيدروجين لتكونَّ الهليوم وعندما يَنفد وقود النجم من الهيدروجين يَبدأ بحرق الهليوم ، ثم يَنهار على نفسه محدثاً انفجاراً عظيماً ومطلقاً طاقة هائلة ، وهذا ما يحدث للشمس وسائر النجوم يوم القيامة تدور حول نفسها بسرعة كبيرة ، فتتكمش مادتها ، ويتلاشى ضوءها بسبب شدة جاذبيتها ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ .

* ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ وتنعكس عظمة القسم وأهميته في الاستدلال على المقسوم به وهو هنا مذكور بصفات تلتقي تماماً مع صفات ما يسمى بالثقوب السوداء ، فهي في الأصل نجوم تجري في مداراتها فيصدق عليها الوصف باللفظ ﴿الْجَوَارِ﴾ وأما اللفظ ﴿الْخُنَّسِ﴾ فيتطابق معها بكل معانيه في اللغة ومنها : التواري والاحتجاب والاختفاء ، والتراجع والاندثار بعد ظهور وازدهار ، وهي بالفعل نجوم عملاقة هوت في نهاية أعمارها وانكمشت مادتها واستترت ولا يظهر منها أي ضوء بسبب شدة جاذبيتها التي تجعلها تكنس كل شيء يجاورها في طريقها وتبتلعه فتزداد كتلة وقوة ؛ وهنا يتجلَّى وصفها بلفظ ﴿الْكُنَّسِ﴾ أو المكانس العظيمة . والمعرفة بتلك الأوصاف حديثة لذا فإن ورودها في القرآن بألفاظ تدل عليها بدقة في معرض تأكيد الوحي به لدليل حاسم على أنه كلام الله الخالق." [1]

* ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالصبح مما يدل على عظم وقت الصباح ، كما أن المواد اللازمة لعملية التنفس لا توجد في الهواء إلا خلال هذا الوقت مما يدل على حكمة الخالق سبحانه .

وقد ثبت علميّاً أن أعلى نسبة لغاز الأوزون (O_3) في الجو تكون عند الفجر وتقل تدريجيّاً حتى تضمحل عند طلوع الشمس ولهذا الغاز فائدة عظيمة للجهاز العصبي للإنسان ومنشط للعمل الفكري بحيث يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية تكون في الصباح الباكر والأوزون من الغازات المُعَقِّمة، فيعمل علي تطهير نطاق المناخ من الملوثات المسببة للأمراض ، كما أن خلال وقت الصباح تبدأ عملية التركيب الضوئي أو الكلوروفيلي حيث تقوم النباتات بأخذ ثاني أكسيد الكربون ، وتطرح غاز الأكسجين بدلاً منه وهو الغاز الذي بدونه تنتهي الحياة .

والصبح عندما يتنفس فإنه يتنفس الهواء البارد الهابط النقي الغني بالأكسجين (الشهيق) ويدفع بالهواء الدافئ الملوث نتيجة لاستقراره طوال الليل قريباً من سطح الأرض (الزفير) وما يحمله من ثاني أكسيد الكربون الناتج عن عملية تنفس الكائنات الحية على وجه العموم .

وهذا ما يحدث تماماً في عملية الكائنات الحية لأن الهواء الذي يدخل عن طريق عملية الشهيق يكون بارداً نسبيّاً والهواء الخارج عن طريق عملية الزفير يكون

([1]) نقلاً عن الموقع الرسمي للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

حارّاً اكتسب حرارته من الجسم ، هذا الهواء عندما يخرج يتمدد ويرتفع إلى أعلى ثم يهبط هواء بارد ثقيل وهكذا دواليك . يتضح مما سبق أن ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ حقيقة علمية وأن الصبح يتنفس حقيقة لا مجازاً . [1]

من لطائف النظم القرآني :

* تكرر أداة الشرط ﴿إِذَا﴾ في هذه الآيات اثنتي عشرة مرة قبل جواب الشرط ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ للتشويق للجواب ، وعندما يسمعه يتمكن من نفسه كل التمكّن .

* الجناس الناقص بين ﴿الخُنَّسِ﴾ و ﴿الكُنَّسِ﴾ يعطي جرساً موسيقياً وثير الذهن لمعرفة الفرق بين المعنيين ، ومثله ﴿مَكِينٍ﴾ و ﴿أَمِينٍ﴾ .

* ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ استعارة تصريحية شبَّه الهواء البارد الهابط النقي الغني بالأكسجين وقت الصبح وصعود الهواء الدافئ الملوث بالتنفس الذي تقوم به الكائنات الحية وهي من أبدع الصور .

* ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ كناية عن موصوف وهو النبي ﷺ وسر جمالها الإتيان بالمعنى وهو نفي الجنون عن النبي ﷺ مصحوباً بالدليل عليه وهو أنه صاحبكم الذي وصفتموه بالصادق الأمين .

* الطباق بين ﴿الجَحِيمُ﴾ و ﴿الجَنَّةُ﴾ لبيان الفرق بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين ، الطباق بين ﴿اللَّيْلِ﴾ و ﴿الصُّبْحِ﴾ لبيان شمول نعم الله تعالى كل الأوقات وتنوع هذه النعم بما يعود بالنفع على الخَلْق .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل ﴿كُوِّرَتْ .. انْكَدَرَتْ .. سُيِّرَتْ .. حُشِرَتْ .. سُجِّرَتْ﴾ و ﴿بِالخُنَّسِ .. الْكُنَّسِ .. عَسْعَسَ .. تَنَفَّسَ﴾ و ﴿مَكِينٍ .. أَمِينٍ .. بِمَجْنُونٍ .. الْمُبِينِ .. بِضَنِينٍ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

(1) لمزيد من التفصيل راجع " دلالة الإعجاز العلمي في إثبات حقيقة تنفس الصبح والتغيرات المناخية المصاحبة " د. هدى عبد الله عيسى من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الكويت ٢٠٠٦م

بين يدي السورة :

هذه السورة مَدَنِيَّة بالاتفاق ، تشتمل السورة على بعض مظاهر الانقلاب الكوني مثل : انشقاق السماء وتساقط كواكبها ، وزلزلة الأرض وانفجار بحورها وبعثرة قبورها ، وما يعقب ذلك من قيام الخَلْق للحساب ، كما تشتمل السورة على التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه ونسياناً ليوم الدين الذي يحاسب فيه على ما قدم وأخر ، وذكرت انقسام الناس في الآخرة إلى أبرار في نعيم ، وفجار في جحيم ، كما تبين أهوال يوم الدين الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً وأمر الخلق جميعهم بيد الله تعالى .

فضل السورة :

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : " من سرَّهُ أن ينظرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّهُ رأيُ عينٍ فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [صححه الألباني]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا

بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

اللغويات :

﴿انْفَطَرَتْ﴾ انْفطرَ الشيءُ: انشقّ ﴿انْتَثَرَتْ﴾ تفرَّقَت ﴿بُعْثِرَتْ﴾ بَعْثَرَ الشيءَ: فرَّقَهُ وبَدَّدَه ، وبَعْثَرَ المخبوءَ : أثارَهُ واستخرجَه ﴿غَرَّكَ﴾ غرَّ فلانًا : خَدَعَه وأَطْمَعَه بالباطل ﴿فَسَوَّاكَ﴾ سوَّى الشَّيءَ : قوَّمه وعدَّله وجعله سَوِيًّا ﴿فَعَدَلَكَ﴾ عَدَّلَ الشَّيءَ : أقامَه وسوَّاه ﴿رَكَّبَكَ﴾ ركَّب الشَّيءَ : ضمَّ أجزاءَه المُتَفرِّقة ورتَّبها وربَط بعضها ببعض للحصول على وحدة متكاملة ﴿لَحَافِظِينَ﴾ الحَافِظُ: الحَارسُ مُوكَّل بشيءٍ يحفظه ﴿الأَبْرَارَ﴾ جمع بَارٌّ وهم المُطيعُون ، والمؤمنون الصادقون ﴿الفُجَّارَ﴾ فَجَرَ الرَّجلُ : ارتكَبَ المعاصي غير مُكْتَرِث ، فَسَقَ ، زَنَى ، انْغَمَسَ في المَلَذَّات ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ صلَى الشَّيءَ : ألقاه في النَّار ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء والحساب في الآخرة .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يذكِّرنا الله تعالى بالانقلاب الكوني الذي يحدث يوم القيامة ومن مظاهر هذا الانقلاب الكوني تشقق السماء وانهيار بنائها ، ويتبع ذلك بعثرة الكواكب وتساقطها ، وتَفَجُّر البحار ناراً مُتَّقِدة ، وبعثرة القبور وخروج من فيها من الموتى وهذا من علامات الساعة الكبرى ، وجواب الشرط ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ في هذا اليوم يبعث الله تعالى الناس وتوزع عليهم صحف أعمالهم وما فيها من حسنات وسيئات عملوها أو أخروها فإن كان قدم الكبائر وأخر العمل الصالح فمأواه النار، وإن كان قدم العمل الصالح وأخر الكبائر فمأواه الجنة ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ يا أيها الإنسان : أي شيء خدعك بربك الكريم حتى تجرأت على معصيته؟ وهو الذي أوجدك من العدم، وقوَّمك وعدَّل صورتك وحتى صرت كامل الأعضاء، حسن الهيئة ، معتدلاً متناسب الخَلْق ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] في أي صورة من الصور شاءها

ربّك وأوجدك عليها ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٦] ﴿كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ارتدعوا يا من تنكرون يوم القيامة عملاً وسلوكاً وإن كنتم تتظاهرون بمعرفته لفظاً وقولاً واعلموا أن هناك ملائكة كراماً مُوكَّلُون بكم مُطَّلِعون على كل ما تفعلونه من خير أو شرٍّ ويكتبونه في الصحف أعمالكم ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ والله تعالى لا يظلم أحداً فالمؤمنون المحسنون يدخلهم الله تعالى جنات النعيم ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أما من عصى الله تعالى وتجرأ على محارمه فسيدخله الله تعالى جهنم يحترق بنارها يوم القيامة ولن يستطيعوا النجاة منها ولا الإفلات من عذابها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وأنت ، أيها المكذب بيوم الدين ، لا تعرفك حقيقة هذا اليوم وأكرر مرة أخرى لا تعرف حقيقة هذا اليوم ، وأنا مخبرك بحقيقته إنه يوم لا يملك فيه أي إنسان نفعاً ولا ضرّاً لنفسه فضلا عن غيره ، ومالك هذا اليوم المتحكم فيه هو الله تعالى الذي لا ينازعه فيه يومئذ أحد ولا يمكّن أحداً من شيء كما مكّنه في الدنيا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]

فوائد وعظات :

* ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ كيف تفجَّر البحار ؟

اختلف المفسرون حول تَفْجِير البحار على أربعة أقوال :

الأول : يكون بانهيار الحواجز بينها وتحوُّلها إلى بحر واحد .

الثاني : ذهاب مائها وتيبسها .

الثالث : تَشَقُّق قيعانها وخروج المعادن المنصهرة التي في باطنها في شكل براكين هائلة تجعل البحار ناراً مُتَّقِدَة .

الرابع : يوم القيامة تعود للهيدروجين الذي في الماء خاصيته السريعة في الاشتعال ويعود للأكسجين الذي في الماء دوره المساعد والمُسَرِّع في عملية الاشتعال فتشتعل البحور جميعاً بعد أن يفصل الله الروابط التي تربط بين الهيدروجين والأكسجين في جميع البحور التي في الأرض فيشتعل الهيدروجين سريعاً ثم ينفجر لأن الحريق المُتَولِّد عنه يسرع بنسبة كبيرة جداً بمساعدة الأكسجين الذي انفصل عن الماء أيضاً وجاور الهيدروجين في نفس لحظة اشتعاله .

ونرجِّح أن تَفَجُّر البحار يبدأ بأن تُزَلْزل الأرض زِلْزَالها ينتج عنه تشقق قيعان البحار ثم تخرج الأرض أثقالها حمماً بركانية هائلة الحرارة هذه الحمم وتلك الحرارة تعملان على فصل هيدروجين الماء عن الأكسجين ، وتتحد نوى ذرات الهيدروجين (عملية الاندماج النووي) لتنتج نوى ذرات الهليوم ، كالذي يحدث داخل الشمس والنجوم ، وينتج عن ذلك انفجار هائلة وحرارة مهولة وتدمير شامل .

* ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ اختلف المفسرون حول هذا الآية على أقوال أربعة هي :

الأول : يوم القيامة يعلم الإنسان ما قدَّم من طاعات وأخَّر من معاص فمأواه الجنة، أو قدَّم من معاص وأخَّر من طاعات فمأواه النار .

الثاني : يعلم الإنسان ما قدَّم من عمل ، خيراً أو شراً ، وما تأخر من نتيجة تأثير هذا العمل فيمن بعده ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] .

الثالث : ما قدَّم الإنسان من الفرائض وما أخَّر أي ما ضيع منها .

الرابع : ما قدَّم الإنسان من الأعمال في أول عمره وما أخَّر في آخر عمره .

والآراء كلها مقبولة وإن كان الرأيان الأولان إن جمع بينهما وأصبحا رأياً واحداً صار الأرجح .

فالإنسان يوم القيامة يعلم نتيجة ما قدَّم من عمل على حساب عمل آخر فإن قدَّم طاعة الله على معصيته فهو الفائز في الآخرة وإن قدَّم معصية الله على طاعته فهو الخاسر ، وكذلك من سنَّ سُنَّةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده " مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسَنةً فلهُ أجرُها ، وأجرُ مَنْ عملَ بِها من بعدِه ، من غيرِ أنْ يُنقَصَ من أُجورِهمْ شيءٌ ، ومَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيِّئةً فعليهِ وِزرُها ، ووِزرُ مَنْ عملَ بِها من بعدِه ، من غيرِ أنْ يُنقَصَ من أوْزارِهمْ شيءٌ " [صحيح مسلم]

* .﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ إن كون الله تعالى كريماً يقتضي أن يغتر الإنسان بكرمه فكيف جعله هاهنا مانعاً من الاغترار به ؟

والجواب من وجوه :

أحدها : إن ترك المعاجلة بالعقوبة لأجل الكرم لا يقتضي الاغترار بأنه لا بعث ولا حساب .

ثانيهما : كونه كريماً يقتضي الخوف الشديد من هذا الاعتبار ، وترك الجراءة والاغترار .

وثالثها : أن كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحياء من الاغترار والتواني .

ورابعها : إنما قال ﴿بِرَبِّكَ الكريم﴾ ليكون ذلك جواباً عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك ، ولولا كرمك لما فعلت لأنك رأيت فسترت ، وقدرت فأمهلت . والآراء الأربعة كلها مقبولة ولا تعارض بينها .

من لطائف النظم القرآني :

* الطباق بين ﴿قَدَّمَتْ﴾ و ﴿أَخَّرَتْ﴾ لبيان شمول إحصاء الله تعالى على العبد أعماله .

* المقابلة بين ﴿إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ وفيه أيضاً من المحسنات البديعية ما يسمى بالتَّرْصِيع وهو أَن تكون الأَلفاظُ مستوية الأَوزان متفقة الأَعجَاز (فواصل الجُمَل) .

* ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ استعارة مكنية حيث شبَّه الكواكب بجواهر قُطِع نظامها فتناثرت وحذف المشبه وذكر لازم من لوازمه .

* ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ استفهام غرضه التوبيخ والإنكار .

* التنكير في كلٍ من لفظة ﴿نَعِيمٍ﴾ و ﴿جَحِيمٍ﴾ للتعظيم والتهويل.

* الإطناب بإعادة الجملة ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ لتعظيم هول ذلك اليوم وبيان شدته كأنه فوق الوصف الخيال.

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿انْفَطَرَتْ .. انْتَثَرَتْ .. فُجِّرَتْ .. بُعْثِرَتْ .. وَأَخَّرَتْ﴾ و ﴿نَعِيمٍ .. جَحِيمٍ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

اختُلِف في كون السورة مَكِّيَّة أو مَدَنِيَّة ، والراجح أنها من أول ما نزل بالمدينة يشهد بهذا ما صحَّ عن ابن عباس من نزولها في أهل المدينة .

واشتملت السورة على الوعيد بالهلاك لمن ينقصون الناس حقوقهم في الكيل والميزان ولا يخافون من البعث والوقف بين يدي الله للحساب . ثم تتحدث عن مصير المعتدين الآثمين الذين يكذبون بيوم الدين في جهنم ، ونعيم الأبرار وكرامتهم في الجنة وذكر بعض مظاهر هذا النعيم ، وتتحدث عن موقف الكفار من المؤمنين في الدنيا وسخريتهم منهم واستهزائهم بهم ، وكيف يتبدل الحال يوم القيامة فيسخر المؤمنون من الكافرين كما سخروا منهم .

سبب نزول السورة :

عن ابن عباس : " لمَّا قدِم النَّبيُّ ﷺ المدينةَ كانوا مِن أخبثِ النَّاسِ كَيلا فأنزَل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسَنوا الكَيلَ بعدَ ذلك " [صححه الألباني]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا

كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ
كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾
يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾
تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ
﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ
ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ
عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

اللغويات :

﴿وَيْلٌ﴾ هلاك ، خزْي ، وادٍ بجهنَّم ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ طفَّفَ المكْيَالَ والميزَانَ : بَخَسَهُ ونقَصَه فهو مُطفِّف ﴿اكْتَالُوا﴾ اكْتَالَ منه ، وعليه : أَخَذَ منه وتولَّى الكَيْل بنفسه يقال: كَالَ المُعْطِي واكْتَال الآخذُ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ استوفى الشَّخصُ حقَّه : أَخَذَه كاملاً لم ينقص منه شيء ﴿كَالُوهُمْ﴾ كَالَ الحُبُوبَ وغيرَهَا : حَدَّد مقْدَارَهَا بُواسطة مكْيال مُعَدٌّ لذلك كالصَّاع ونحوه ﴿مَبْعُوثُونَ﴾ بعَثَ اللهُ الخَلْقَ : أحْيَاهم بعد موتهم ﴿كَلَّا﴾ حرف يفيد الرَّدْع والزَّجْر والاستنكار ﴿الْفُجَّارِ﴾ فَجَرَ الرَّجلُ : ارتكَبَ المعاصي غير مُكْترِث ، فسَق ، زَنَى ، انْغَمَسَ في المَلَذَّات ﴿سِجِّينٍ﴾ السِّجِّينُ : السَّجْنُ ، وادٍ في جَهَنم ، مَوْضِع فيه كِتَاب الفُجَّار ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ : كِتَابٌ مَسْطُورٌ بَيِّنُ الكِتَابَةِ

﴿مُعْتَدٍ﴾ اسم فاعل من اعْتَدَى : فَاجِر مُتجاوز عن نَهْج الحقِّ ﴿أَثِيمٍ﴾ أثِمَ الشَّخْصُ: عَمِل ما لا يَحِلُّ ، أذْنَبَ ، وارْتَكَب إساءَةً أو خَطِيئة ﴿أَسَاطِيرُ﴾ الأباطيلُ والأحاديثُ العَجيبةُ ﴿رَانَ﴾ الرَّانُ : الغطاءُ والحجابُ الكثيفُ ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ حَجَبَ الشيءَ : سَتَرَه ، والمَحْجُوب : المَسْتُورُ ﴿لَصَالُو﴾ صلَى الشَّيءَ : ألقاه في النَّار ﴿الأَبْرَارِ﴾ جمع بَارٌّ وهم المُطيعُون ، والمؤمنون الصادقون ﴿عِلِّيِّينَ﴾ العِلِّيِّ : أعْلَى مكَان وأَعْلَى دَرَجَة ﴿نَضْرَةَ﴾ نَضْرَةُ وَجْه : حُسْنُهُ ، إشْرَاقُهُ ﴿رَحِيقٍ﴾ أجْوَد الخَمْر وأصْفاه ، ومسكٌ رَحِيقٌ : لا غشَّ فيه ﴿مَخْتُومٍ﴾ خَتَم على الطَّعام والشَّراب : غَطَّى فُوَّهَة إنائه بمادَّة عازلة ، أحْكَمَ غطاء الإناء الذي يحويه ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ ختام إنائه المسْك ﴿مِسْكٌ﴾ نوع من الطِّيب يُتَّخذ من الغزْلان ﴿مِزَاجُهُ﴾ ما يُمزَج به من الشَّراب ونحوه ، وكلُّ نوعين امْتَزَجا فكلُّ واحد منهما مِزَاج ﴿تَسْنِيمٍ﴾ التَّسنيمُ : ماءٌ في الجَنَّة ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ تَغَامزَ القومُ : أشَارَ بعضُهم إلى بعض بأعينهم أو بأيديهم ﴿انْقَلَبُوا﴾ انْقَلَبَ: رَجَعَ وانْصَرَف ﴿فَكِهِينَ﴾ رَجُلٌ فَكِهٌ : مَنْ يُكْثِرُ مِنَ الدَّعَابَة وَالْمُزَاحِ ﴿لَضَالُّونَ﴾ الضَّالُّ : كلُّ مَن يَنْحَرف عن دين الله الحَنِيف ﴿حَافِظِينَ﴾ الحَافِظُ : الحَارسُ مُوَكَّل بشيءٍ يحفظه ﴿الأَرَائِكِ﴾ جَمْع أَرِيْكَةٌ وهي : كُلُّ ما اتُّكئ عليه من سرير أو فِرَاش أو منصَّة ﴿ثُوِّبَ﴾ فُلانًا : كَافَأَهُ وجَازَاه .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ الهلاك للمطففين الذين إذا اشتروا من غيرهم يأخذون أكثر من حقهم ، وإذا باعوا ينقصون الميزان والمكيال ظلماً وعدواناً ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ألا يعتقد هؤلاء المطففون أنهم سيموتون ثم يبعثون بعد الموت في اليوم الآخر ليقفوا أمام الله تعالى رب العالمين ويحاسبهم على ما أجرموا في حق غيرهم ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ليس الأمر كما تظنون أيها المطففون من التكذيب الاعتقادي أو العملي بالرجوع إلى الله والحساب فإن الله تعالى يحصي أعمال العصاة الذين لا يخافون الله ويتمادون في غيهم في سجل وهذا السجل في سجين وأنت ، أيها الشقي ، لا تعلم ما سجين ، ولو علمته حقاً ما غششت النَّاس وطففت الميزان والمكيال إن في سجين سترى ما اقترفت يداك من معاصٍ وآثام تراه واضحاً بيِّناً في كتاب مسطور بَيِّن الكتابة هذا الكتاب المشتمل

على صحيفة السوابق التي دخلْتَ النار بموجبها تسبقك إلى مكان عقوبتك في جهنم وبمقتضى ما جاء فيها يكون عذابك وشقاؤك ومدة عقوبتك ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ الهلاك للكافرين باليوم الآخر ولا يكفر به إلا من كان موصوفاً بصفات ثلاث : مُتَجَاوِز عن المَنْهَج الحق ، مُصِرٌّ على ارتكاب المعاصي والآثام ، مُنْكِر لما أُنْزِل على رسول الله من وحي فإذا سمع آيات الله كَفَر بها وقال إنها أباطيل وأكاذيب قالها السابقون ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ليس القرآن الكريم أساطير الأولين كما زعم المكذبون بالدين ، بل ما اكتسبوه من الكفر والمعاصي صار سبباً في تغطية قلوبهم بغشاوة فلا يخرج منها الضلال ولا يدخل إليها الهدى ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧] ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ليس الأمر كما زعم المكذبون بيوم الدين : إن كانت الآخرة حقّاً ، فإن لهم عند الله حسن الثواب ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِّعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠] والحقيقة أن المكذبين بالساعة يُحْرَمون من رؤية الله تعالى يوم القيامة ، فهي قاصرة على المؤمنين فحسب ، كما يُحْرَمون من رحمته وغفرانه ويحترقون بنار جحيمه ويقال لهم توبيخاً : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس : ٦٣، ٦٤] ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ليس الأمر كما توهم أولئك الكفار من إنكار البعث فإن صحائف أعمال المؤمنين الصالحين في عليين ، وما أعظمه من مكان وما أرفعه من مكانة ! وفي عليين سِجِلُ الأعمال الصالحة التي عملها المؤمنون في الدنيا وحفظتها لهم الملائكة والتي يتنعمون بمقتضى ما حصلوا عليه من جزاء عن هذه الأعمال ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ إن مصير المؤمنين المحسنين الخلود في نعيم الجنة حيث يجلسون ويتكئون على أسرَّة وفُرُش الجنة وينظرون إلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة إذا رأيتهم عرفت مدى ما هم فيه من سعادة وسرور يظهر في وجوههم الحسنة المشرقة من أثر النعيم ورضا رب العالمين ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ إن هؤلاء الأبرار يشربون من خمر الجنة الخالصة من كل شائبة فطعمها لذة للشاربين ، ورائحتها المسك ، ولا تصدع الرأس ، ولا تتعب المعدة ، ولا تُذْهِب العقل ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصَّفات:٤٧] وفى سبيل ذلك النعيم فليعمل العاملون وليتسابق المؤمنون

في عمل الصالحات ، وهذه الخمر التي يشربها المقرَّبون ممتزجة بماء الجنة الذي قَصرَه الله تعالى على المُقَرَّبين فقط من أهل الجنة ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ إن الكفار المجرمين كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا وإذا مروا بهم وهم في طاعة الله يغمز بعضهم بعضاً استهزاء بهم وبما يفعلون ، وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين مسرورين باستخفافهم بالمؤمنين ، وإذا رأوا المؤمنين قالوا : إن ما يتمسك به هؤلاء من إيمان بالغيب وعمل لما بعد الموت وزهد في متاع الحياة الدنيا هو الضلال فلا نؤمن إلا بما نرى ولا نترك متاع الدنيا الحاضر المعلوم لنعيم الآخرة الآجل المزعوم ﴿إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون:٣٧] والله تعالى لم يجعل هؤلاء المجرمين رُقَبَاء أوصياء على الأبرار يُحْصُون عليهم أعمالهم ويحاسبونهم عليها ويحكمون عليهم بالرشد أو الضلال ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ويوم القيامة العاقبة تكون للمؤمنين والخسران والندم يكون للكافرين حينئذ يسخر المؤمنون من الكافرين كما سَخِروا منهم في الدنيا ، ويجلس المؤمنون على الأسرَّة والفُرُش والمتكآت ينظرون إلى ما أنعم الله به عليهم ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً * لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[الواقعة:٢٨-٣٨] ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في يوم القيامة عندما يرى الكفار العذاب ويحترقون بنار جهنم يدركون أن ما جاء به رسل الله حق وأن ما توعَّد الله به الكافرين حق ، حينئذ يجزي الله الكفار بكفرهم بالله واليوم الآخر وسخريتهم من المؤمنين . وكأنه تعالى يقول للمؤمنين : هل جازينا الكفار على عملهم الذي كان من جملته ضحكهم بكم واستهزاؤهم بطريقتكم ، كما جازيناكم على أعمالكم الصالحة ؟ فيكون هذا القول زائداً في سرورهم ، لأنه يقتضي زيادة في تعظيمهم والاستخفاف بأعدائهم .

فوائد وعظات :

* ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ هل السِّجِّين اسم عَلَم لشيء معين أم اسم مُشْتَقٌّ عن مَعْنًى؟ وللعلماء في سِجِّينٍ قولان :

الأول : وهو قول جمهور المفسرين : أنه اسم عَلَمٌ على شيء معين ، ثم اختلفوا فيه ، فالأكثرون على أنه أسفل سبع أرضين .

الثاني : أنه مُشْتَقٌّ وسُمِّي سِجِّيناً من السِّجْن .

* ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطْفِيفُ هو نقص المكيال والميزان شيئاً قليلاً فهل يستحق المطففون الويل والهلاك على هذا ؟

إن الزجر الذي لحق المطففين بسبب أنهم يأخذون من الناس أكثر مما يستحقون ، ويعطونهم أقل مما يستحقون ، ولما كان هذا الظلم والعدوان في أمور مرتبطة بحياة الناس وأقواتهم استحق صاحبه الوعيد بالهلاك والعذاب حتى وإن قلَّ ، يقول الفخر الرازي : اعلم أن أمر المكيال والميزان عظيم، وذلك لأن عامة الخلق يحتاجون إلى المعاملات وهي مبنيَّة على أمر المكيال والميزان ، فلهذا السبب عظَّم الله أمره فقال: ﴿والسماء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزان * أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي الميزان * وَأَقِيمُواْ الوزن بالقسط وَلاَ تُخْسِرُواْ الميزان﴾ [الرحمن: ٧- ٩] والوعيد بهلاك المطففين غير قاصر على الكفار فحسب إنما يشمل المسلمين أيضاً فلو كان قاصراً على الكفار لكان الكفر أولى باستحقاق هذا الويل من التطفيف فليس بعد الكفر ذنب .

* ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ما المقصود بالظن في الآية ؟

الظن في القرآن يأتي بمعنيين : العلْم بيقين مثل قوله تعالى : ﴿وَرَأَى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣] ، كما يأتي بمعنى العلم بغير يقين أو الشك ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤] والظن في آية المطففين يحتمل المعنيين يحتمل أن التطفيف يقوم به المسلمون الموقنون بأنهم سيبعثون يوم القيامة ويؤيد ذلك ما روي أن المسلمين من أهل المدينة كانوا كذلك وأن السورة نزلت فيهم والآية تذكرهم بالبعث الذي يؤمنون به حتى ينتهوا عن التطفيف ، كما يجوز أن يكون الظن في الآية بمعنى الشك وعدم اليقين بالبعث والحساب فكان عدم إيمانهم بالبعث دافعاً لهم على تطفيف الكيل الميزان وقد أَمنوا عقاب الله لهم يوم القيامة ، وكما يقال من أمن العقوبة أساء الأدب فكذلك من أَمن البعث أساء العمل وطفَّف الكيل والميزان .

* ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ذكر المفسرون في معنى ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أربعة أقوال :

الأول : ينظرون إلى أنواع نعمهم في الجنة من الحور العين والولدان ، وأنواع الأطعمة والأشربة والملابس والمراكب وغيرها .

الثاني : ينظرون إلى عدوِّهم وهو يعذب في النار .

الثالث : إذا اشتهوا شيئاً نظروا إليه فيحضرهم ذلك الشيء في الحال .

الرابع : ينظرون إلى ربهم فالله تعالى قال بعد هذه الآية ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النعيم﴾ والنظر المقرون بالنضرة هو رؤية الله تعالى على ما قال : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣ ٢٢]

والآراء كلها صحيحة ولا تعارض بينها بل كلها صور متنوعة مما يلقاه الأبرار من ألوان النعيم .

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ تنكير وَيْلٌ للتهويل والتفخيم .

* مقابلة بين ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ و ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ لبيان سبب استحقاق المطففين الهلاك .

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ استفهام لتهويل منزلة الفجار السفلى .

* المقابلة بين ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ...﴾ و ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ...﴾ لبيان ما ينتظر الفُجَّار من عقاب وما ينتظر الأبرار من ثواب فمن لم يطمع في ثواب الأبرار فليخش عقاب الفُجَّار .

* ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ استفهام لتفخيم وتعظيم منزلة الأبرار .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ .. يَسْتَوْفُونَ﴾ و ﴿يَكْسِبُونَ .. لَمَحْجُوبُونَ﴾ و ﴿مَرْقُومٌ .. نَعِيمٍ .. النَّعِيمِ .. مَخْتُومٍ .. تَسْنِيمٍ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***